مجلة دراسات العالم الإسلامي، ٧ (مارس ٢٠١٤)، ص ١-٩
Kyoto Bulletin of Islamic Area Studies, 7 (March 2014), pp. 1–9

التّرجمة في ضوء رؤية العالم وثقافة النصّ

أ/د.عبد القادر سلاّمي*

ملخص:

تسعى الدراسةُ التّاليةُ إلى رصْدَ تَبادُل المُؤثّراتِ الأدبيةِ واللّغويةِ إرسالاً واستقبالاً، من وإلى لغةِ العربِ في ظلِّ الخُصوصيةِ الثقافيةِ والحضاريةِ لكلِّ أمّةٍ من الأمم، وذلك بالوقوف على نماذجَ من هذه النُّقولِ التي قد تتعذّر ترجمتُها مِنْ وإلى لغةِ العربِ على أكْثَرِ المُترجمين مِراساً، ناهيك عمّا قد يتعذَّرُ منها خاصّةً إذا قامَ عليْها غيرُ المختصّ من الأفرادِ أو المجَامِعِ،غير المُضْطلعِ مِنْ لغةٍ تكثرُ فيها المُقابلاتُ الحيّةُ معجماً المغيّبةِ تداولاً في اللغة الهَدَفِ،والعربيةُ أهمُّها في الوقتِ الرّاهنِ، مُستعرضين ذلك مِنْ حيثُ الواقعُ والأسبابُ، الأمر الذي لا يُلغي دورَ الترجمة من حيثُ المَبدأ في شيءٍ.

الكلمات المفتاحية: النص-الترجمة-الرؤية، العالم، الثقافة-الواقع-الأسباب.

-تقديم:

لئِنْ ارتبطتْ التّرجمةُ بمعانٍ لغويةٍ أهمُّها: سِيرة فَرْدٍ من الناس أو تاريخ حياته أوتفسير الكلام وشرحه أو التّفسير لِمَا عَجُم واستُغْرِبَ[١] ؛فإنّ المنظّرين والكتّاب المُترجمين يتّفقون على أنّها تعني من حيثُ الاصطلاح: «نَقْلُ كلامٍ أو نصٍّ مِنْ لغةٍ إلى أخرى» .فابنُ المُقفّعِ (ت١٤٢هـ) عند ابنِ النّديم (ت٤٣٨هـ) أحد النَّقَلة مِن الفَارسي إلى العَربي.[٢] «ويُعدُّ عادل زعيتر أحدُ هم في العهد الحديث. وليسَ أيُّ نَقْلٍ لنصٍّ في لغةٍ إلى نصٍّ في لغة أخرى هو التّرجمة، إذْ إنَّ للنَقْلِ قواعدٌ محدّدةٌ لا بدّ مِنْ أنْ نُراعيها، وإلاّ فَقَدْنا الحقَّ في تسميةِ النصِّ المُتَرْجَمِ تَرجمةً.[٣]

هذا، وتظلُّ رُؤْيةُ العالِم وثقافة النصّ هما المَناخُ الذي يُحدّدُ طَبيعةَ العَملِ وأدواتِه، إذ تختلفُ التّرجمات الإبداعية للنّصوصِ الخَالدةِ مثْل الإلياذة لهُوميرُوس والكُوميديا الإلهية لدَانْتي عن راويةٍ لتشَارْلز ديكينْز دونَ الانتقاصِ طبعًا من قيمة هذا الأخير. والمُترجمُ أثناءَ العَملِ يَستخدمُ ذاكرتهُ اللغويةَ وذَوْقَهُ الجَمالي في قراءةِ النصّ قبلَ استِحْضارِ أدواتِ العَمَلِ، وهنا لابدّ من التّذكير بأنّ المُترجمَ غيْر المُتذوّقِ لجَمالياتِ النصّ بلغتهِ الأصْليةِ غيْر قادرٍ على نَقْلِها إلى لغةٍ أُخرى مَهْما كانَ هذا المُترجمُ قَديراً ومُتمَكِّناً مِنْ تِقنْياتِ التّرجمةِ.

١-الترجمة ورؤية العالم:

هناكَ وجهةُ نَظَرٍ في هذا الشّأنِ قدّم لها عالمُ اللغة الألماني الشّهير «إدوارد سابير» وطوّرَها تلميذُهُ «بنيامين لي ورف»، لذلك تمّتْ تسميَتُها بنظريةِ «سابير - ورف»، في حين فضّلَ بعضُهُمْ تسميَتَها بـ«نظريةِ الاتّصال اللغوي»، ومُفادُها أنّ التّرجمةَ بيْنَ لغتيْنِ مُختلفتيْنِ أمرٌ مُستحيلٌ. ولئِنْ كانت لا تَرقَى إلى مُستوى الإجْماعِ، بالرّغمِ من كونِها على درجةٍ كبيرةٍ من الأهميّةِ، إلاّ أنّه يُمكنُ التّعبيرُ عن تلك النّظريةِ بطُرقٍ عدّةٍ

* قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان-الجزائر.

١ ينظر: الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،١٩٢٨/٥، مادة (رجم) والفيروزآبادي: القاموس المحيط، ٤/ ٨٤، مادة (ترجم) وابن منظور: لسان العرب، ٢٢٩/١٢، مادة(رجم) وإبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط،٨٣/١، مادة(ترجم).

٢ ابن النديم: الفهرست، ص ٥٢٣.

٣ أسعد مظفر الدين حكيم: علم الترجمة النظري، ص ٤٠.

وبدَرجاتٍ مُتباينَةٍ وإنْ كانتِ الصّياغةُ الشّائعةُ لها تقولُ: «يُؤثّرُ تَركيبُ لغتِنا بدَرجةٍ كبيرةٍ على الطريقةِ التي نَسْتَوعِبُ العالَمَ بها».[٤]

لَقَدْ اشتَغلَ «ورف» مفتّشاً في تأْمينِ الحرائقِ قبْلَ اشْتِغالِهِ بعلْمِ اللّغوياتِ، فأَمْكنَهُ وَفْقَ تحرّيّات قامَ بها أنْ يكتَشِفَ حِرْصَ العُمّالِ في تعامُلهم معَ أنابيبِ الغَازِ المَلْأَى، في مُقابلِ تَراجعَ ذلك الحِرْصِ عنْدَ التّعاملِ معَ الأنَابيبِ الفارغةِ. وهو تصرُّفٌ غيْرُ سَليمٍ؛ لأنّك إذا أشْعلتَ ثِقاباً في أُنبُوبٍ مَمْلوءٍ فإنّ الغَازَ يَشْتَعلُ على الفَوْر، أمّا إذا أشْعلْتَ أُنْبُوبَةً فارغةً فإنّ الغَازَ المُتبقّى داخلَها والمُتبخّر سيَنفجرُ بعُنفٍ، لذا تمكّنَ «وُرف» مِنْ أنْ يَستنتجَ وجودَ شيءٍ ما يَحوم حول معنى كلمة «فارغ» والتّي حثّتِ العُمَّالَ على مِثْلِ هذه اللّامبالاةِ أو هذا الفِعْلِ الطَّائِشِ.[٥]

إنّ مسألةَ تعذُّرِ التّرجمةِ في الأساسِ تَنْطلِقُ مِنْ فِكْرَةِ أنّ لكلّ لغةٍ نظرةً مختلفةً ورؤيةً خاصّةً للعالم. هذه الرُّؤيةُ التّي تجعَلُ رَجُلَ الإسكيمو يعبّر بألفاظٍ وتعابيرَ متنوعةٍ عنْ مُختلفِ حالاتِ الثّلجو أسمائِهِ وتجعلُ من العَربِي يُتقِنُ وصفَ الإبِلِ ومَا يَدُبُّ في الصّحراء، هي التّي تجعَلُ مِنْ طَبَقِ اللّحم الحُلْو بالبَرقُوق الذي يُعدُّ أشْهَى الأطْباقِ في مِنطقةِ المَغْرِبِ العَرِبي، مَحطَّ ريبةٍ وشكٍّ في المَشْرِق الذي يَعدُّ أكل اللّحم النَّيِّئِ من المقَبّلات الشّهية (الكبَّةُ النّيئةُ). وكذلك، فكلمةُ «حَلزُون» Escargot مُرتبطةً في ذِهْنِ الفَرنْسِي بفِكرَةِ الاختِصاصِ الرّفيع للمَطْبَخِ الفَرنْسِي، بينَما هيَ تُثيرُ قَرَفَ الألْمانِي واشْمِئزازِه.[٦]

ولَا غَرْوَ أنْ «أوْلَتْ المدرسةُ الألمانيةُ، ومِنْ أقْطابِها رايس وفيرمر (١٩٩١م) أولويةً قُصوى لرُكْنِ الثّقافةِ في التّرجمةِ، إلى درجةِ أنّ سنيل – هورنبي (١٩٨٨م) أجزمَتْ أنّ التّرجمةَ تقع بين ثقافتيْنِ لا لغَتيْنِ».[٧]

هذا،وتُعدُّ معرفةُ المُترجمِ بالعالَمِ الذي يُحيطُ به جزءاً مِنَ المعرفةِ الدّلاليةِ للنصّ المُرادِ تَرجمتُهُ؛ لذا وَجَب التّمْييزُ بينَ المعرفةِ الخاصّةِ باللّغة والمعرفةِ ذاتِ الطّبيعةِ الأكثرِ عُمومية. وقد ناقشَ جِست وكاربنتر(١٩٨٧م) لماذا تُعدُّ جملةُ «أكلَ مُصطفى النّقانِقَ معَ المُقبّلاتِ» جملةً مقبولةً، في حين أنَّ جملةَ «أكلَ مُصطفى الآيسْ كريمْ معَ المُقبّلاتِ» ليستْ كذلك، وقد أجابَ عن ذلك بأنّ المُقبّلاتِ عادةً لا تُؤكلُ مع الآيسْ كريمْ، ومثلُ هذه المعلومةِ ليستْ خاصّةً باللّغةِ بل هي نِتاجُ معرفةٍ عامةٍ بأنواعِ الطّعامِ التي تُضاف إليها.[٨]

لذا، فإنّ معرفةَ المُترجمِ بالعالَمِ تلعبُ دوراً مُهمّاً في بناءِ هذه التّفسيراتِ ، وعادةً ما تكونُ هذه المعرفةُ مُدعّمةً بمعرفةٍ محدّدةٍ لمُحتوى الأحداثِ وبنْيتِها؛ ذلك لأنّ النصّ مُنعكَسٌ لثقافةِ المجتمعِ بكافّةِ شَبكاتِهِ المُعَقَّدةِ عبْرَ التّاريخِ والجُغرافيةِ والعلاقاتِ بيْنَ الأفرادِ، أيْ أنّهُ ذاكرةٌ مُلخّصةٌ للنّظامِ المَعْرِفِي للمُجتَمعِ .فالنصّ أيّاً كانَ هُو مَجموعةٌ مِنَ العلاقاتِ اللّغويةِ التي تَخدُمُ فِكْرَةً أو مَجموعةَ أفْكارٍ أوْ مَفاهيمَ قابلةٍ للتّفسيرِ والشّرحِ والتّأويلِ ممّا يُمهّدُ لتَطْويعِ النصِّ لقِراءاتٍ جديدةٍ أوْ تأكيدِ قراءةٍ مَا.[٩]

والمُترجِمُ أثناءَ العمَلِ يَستخْدمُ ذاكِرتَهُ اللّغويةَ وذَوْقَهُ الجَمالِي في قراءةِ النصّ قبْلَ اسْتحْضارِ أدواتِ العمَلِ، وهُنَا لا بُدَّ مِنَ التّذكيرِ بأنّ المُترجمَ غيْرَ المُتذَوِّقِ لجمالياتِ النصّ بلُغَتِهِ الأصليَةِ غيْرُ قادرٍ على نَقْلِها إلى لُغةٍ أخْرى مَهْما كانَ هذا المُترجِمُ قديراً ومُتمكّناً مِنْ تَقَنياتِ التّرجمةِ. فالمُترجِمُ لَنْ يكونَ مُتَمَكّناً مِنْ عَملهِ إنْ لمْ

٤ ر.ل. تراسك: أساسيات اللغة ، ص ٧٠.

٥ المرجع نفسه، ص ٧٠-٧١.

٦ ينظر: Wills, W., *The Science of Translation Problems and Methods*, Gunter, p. 40

٧ محمد الديداوي: الترجمة والتواصل، ص ٨١.

٨ ينظر: كامهي، آلان وكات، هوغ: صعوبات القراءة: منظور لغوي تطوري،ص١٤.

٩ ينظر: جوني عدي: إشكالية الترجمة وثقافة النص، ص٢ وأحمد يوسف: بين الخطاب والنص، ٥٣/١ وعبد الفتاح كليطو: الأدب والغرابة: دراسات بنيوية في الأدب العربي، ص١٤.

يكُنْ قادراً على تذوُّقِ جَمَاليَاتِ النصّ بلغتهِ الأصليَةِ؛ لأنّ التذوُّقَ واحدٌ مِنْ أهمِّ عناصرِ نجاحِ التّرجمةِ بعْدَ إتقانِ اللّغتيْنِ.[١٠] فالمُترجِمُ يُصادِفُ في أغْلَبِ الأحْيانِ بعضَ المتاعِبِ التي لا يُدْرِكُها إلَّا مَنْ يُعانِيها وعلى رأسِها ظلالُ المَعَاني عنْدَ إيجادِ اللَّفْظِ، ودِقَّةِ العِبَارَةِ، واكْتِشافِ مَا خَفِيَ مِنْ فَنِّ صَاحِبِ النصِّ الأصْلِي، ويُجهَدُ المُترجِمُ دوماً في نقْلِ نصِّ عبارةٍ في غايةِ الرِّقَّةِ والإحْسَاسِ بالذَّوْقِ لِقَاءَ عبارةٍ عربيةٍ أو غيْرِها، وبالمُسْتَوى الأدَبِي أوْ العِلْمِي أوْ الفَنِّي نفسِهِ. ولتَمثيلِ ذلكَ نَسُوقُ تَرجمةَ عُنوانِ قصَّةِ الكَاتِبِ الفَرَنْسِي بَلْزَاكَ:

Le coeur d`une femme est une labyrinthe

بِعبارَةِ: «قَلْبُ المَرْأةِ تِيهٌ» التي لا تَخْرُجُ عَنْ مَعْنىً ولا تَبْتَعدُ عَنْ قَصْدٍ. فإذَا كانتْ هذه الحالُ بالنّسبةِ للنَّثْرِ، فكيْفَ يكونُ الأمْرُ بالنّسبةِ للشِّعْرِ الذي تَكادُ تُشرفُ تَرجمتهُ الرّقيقَةُ الوَافيَةُ على المُسْتَحيلِ؟

في الجوابِ على هذا السُّؤال يُمكنُ أنْ نقولَ: لئِنْ كانَ المُترجِمُ شاعراً مُتمكِّناً مِنَ اللّغة التي يَنقُلُ منْها، ومَا أقلُّ أنْ يكونَ، فكلُّ مَا يَمْكِنُ أنْ يصبُو إليهِ النَّاقِلُ هو أنْ يحتفظَ بالمَعْنَى؛ أمّا الوزنُ أوْ المُوسيقَى أو جمالُ اللَّفظِ فكلُّ هذهِ غايةٌ قدْ يُجيدُها المُترجِمُ أوْ قدْ يَنْقُلُها بحَالةٍ وُسْطى أوْ قدْ يَفْشَلُ بِهَا.[١١]

٢–الترجمة وثقافة النص:

تُعدُّ ثقافةُ النصّ واحدةً من أهمِّ إشكالياتِ التّرجمةِ، وهيَ المُقابلُ أوْ المُحاورُ الدّلالِي في اللّغة المَنْقولِ إليْها، معَ العِلْمِ أنّ المُقابلَ أوْ المُحاوِرَ لوْ تطابقاَ معَ الأصْلِ تَبْقى جَماليةُ العلاقةِ بيْنَ الدّوَالّ والمَدْلُولاتِ في النصّ ناقصةً لغيابِ عناصرَ أخْرى مثْلَ الوَزْنِ والقَافيَةِ في العَمَلِ الشّعْرِي.

كمَا أنّ الحديثَ عن ثقافة النّص يعْني الحديثَ عن وظيفةِ العلامةِ أوْ الإشارةِ اللّغوية «sign(e)» الّتي تكتَسبُ طبيعتَها ومَشْرُوعِيَّتَها مِنْ النَّسَقِ اللّغوي «السّياق»[١٢] في عَلاقاتِها الجَدليّةِ بالعَلاماتِ الأخْرى والّتي

---

١٠ جوني عدي: إشكالية الترجمة وثقافة النص، ص٤.

١١ سالم، العيس: الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية، ص١٠٦.

١٢ يدلُّ السياق من حيث الاصطلاح على تتابُع الكلام وأسلوبه الذي يجري عليه. ويقصد به تَجاورُ الكلمات في التَّلاصُق الرُّكْني للجُمَل في الملفوظ، أي ما يسبقُها وما يلحقُها من مفردات. وعادة ما تعدّ العوامل الصوتية النحوية والصّرفية في تركيب الكلام مظهراً سياقياً أو تركيباً. كما يُقصد به ما يصاحب اللفظ ممّا يساعد على توضيح المعنى وقد يكون التوضيح بما يَرِدُ فيه اللفظ من الاستعمال؛ وقد يكون ما يصاحب اللفظ من غير الكلام مفسّراً للكلام؛ وقد تكون العلاقة بين هذا الكلام وبين كلام آخر أو غير كلام مدعاةً إلى استعمال اللفظ بالطّريقة التي يستعمل بها في اللغة. وهو بذلك «جسمٌ حيٌّ أو مجموعة من المواقف والإمكانات المتفاعلة، وفيه تقاطعات مستمرّة». ومن مظاهر ذلك مثلاً مجاورة الأصوات بعضها ببعضٍ في كلمة واحدة أو في كلمتين، فالتقاء صوتين في سياقٍ واحد قد يؤدّي إلى التصرّف في أحدهما بالإبدال؛ إذ ليس كلّ حرف صالحاً لأن يجاوره حرفُ آخرُ. كما أنّ شكل المقطع ومخرج الحرف وصفاته والملحقات الصرفية وغير ذلك هي العوامل التي تحدّد ورود حرف بعينه في موقع بعينه أو عدم وروده. وهو ما أطلق عليه ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) الأداء والأسلوب، فأكّد أنّه «عبارة عن المِنْوَال الذي يُنْسَجُ فيه التّركيب أو القَلَبُ الذي يُفرَغُ فيه، و لا يرجع إلى الكُلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب، أي النّحو، ولا باعتبار إفادته كما المعنى من خَواصّ التركيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العربُ فيه الذي هو وظيفة العَروض، وإنّما يرجعُ إلى صورةٍ ذهنية للتراكيب المنتظمة كلّيةً باعتبار انطباقها على تركيبٍ خاصٍّ، وتلك الصُّورة التي ينتزعُها الذِّهْنُ من أعيانِ التراكيب وأشْخاصها ويعيدها في الخيال كالقالب والمنوال ثمّ ينتقي التراكيب الصَّحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرُصَّها رَصّاً، كما يفعلُ البَنَّاءُ في القالَب والنسَّاجُ في المِنْوال حتّى يتَّسعَ القالبُ بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ووقعَ على الصُّورة الصّحيحة باعتبار مَلَكةِ اللِّسان العربي فيه، فإنّ لكلّ فنٍّ من الكلام أساليبَ تختصُّ فيه وتُوجد فيه على أنحاء مختلفة». (ينظر على التوالي: إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، ٤٦٥/١،مادة (ساق) وينظر: عدنان ذريل: اللغة والدلالة، ص ١٦٠ وتامر سلوم: نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ص١٣–٤٤، ٣١٨، ١٧٦–٤٥

تُشكّل في مَجموعِها وحْداتُ النصّ ضمنَ وظيفتِهِ التّواصُليةِ وضمنَ العلاقةِ التاليةِ:

المُرسِل ـ النّص ـ المُتلقّي

أيْ إنَّ النّص هُو الإطارُ النّاقلُ للعلامةِ اللّغويةِ معَ اعتبارِ أنّ المُرسِل هُو في الوقتِ نفسهِ متلقٍّ والعكسُ صحيحٌ.[١٣]

وقد ساقَ الباحثُ عُدي جُوني للتّمثيل لذلك مقطعاً لقصيدةٍ للشّاعرِ الفِلسْطيني محمود درويش بعنوان «أبياتُ غَزَلٍ»،[١٤] وهُو مَقطعٌ على بساطتِهِ يُعْطي مثالًا تطبيقياً ناجحاً لما يُسمّى «بثقافةِ النصّ»:

أتَبْقَين فوْقَ ذِراعِي حمَامَه
تُغمّس مِنْقارَها في فَمِي؟
وكَفّكِ فوْقَ جَبيني شَامَه
تُخلّدُ وعْدَ الهَوى في دَمِي؟

وقد حاولَ في تَرجمتِهِ إلى الإنجليزيةِ أن يُبرزَ المَعاييرَ الدّلالية لكلمتَيْ «حمَامة»، و«شامَة» التي تُعْطي للمَقْطعِ مناخاً خاصاً، وإنْ كان لا يدّعي أنَّه نجحَ تماماً، فقال:

Would you stay on my arm as a pigeon
To my mouth, is immersing her beak
Your palm on my forehead a mole
Eternalizing the promise of love in my blood.

لتحليل ثقافة النّص في هذا المقطع، علينا أوّلا أن نقرأَ اللُّعبةَ الدلالية لمحمود درويش في توظيف كلمَتَيْ «حمامة وشامة». فقَدْ وجدَ الباحثُ عُدي جُوني أثناءَ عرْضِهِ النَّص على بعْضِ مِنْ طلاّبِ الجامعةِ مِنَ الجِنْسيْنِ «خمسةُ طلاّبٍ وسِتّ طالباتٍ» لمْ يسبقْ لأيٍّ منهُمْ أنْ سَمِعَ حتّى باسْمِ محمود درويش، كما أسْمَعَهُم القصيدةَ مغنّاةً بصوتِ وألحانِ الفنّانِ المُبدِعِ البَحْريني خالد الشيخ. وقد توزّعَ الطلاّبُ على جِنْسياتٍ مختلفةٍ، أستُرالية، ويابانيةٍ، وأميركيةٍ، وسريلانكيةٍ، وماليزيةٍ، حيثُ طلَبَ مِن كل طالبٍ وطالبةٍ أن يكتُبوا انْطِباعاتِهِمْ بعدَ قراءةِ التّرجمةِ وقبْلَ سَماعِها مُغنّاة ومِنْ ثَمَّ بعدَ سَماعِ الأُغْنيةِ. وجاءتِ النّتائجُ على الشّكل التّالي:[١٥]

– استغْربَ الأميركيونَ استخدامَ الحَمامِ في الصُّورة الّتي رأوا فيها تَضْميناً غيرَ مباشرٍ لفِعْلٍ جِنْسِي «implication sexual» إلى جانبِ أنَّ الحَمامَ طائرٌ مُزْعِجٌ، في حين وجَدَ الطّلابُ الأسْتُرالِيُّونَ العَلاقةَ بينَ الحَمامةِ والشّامةِ غَريبَةً نوعاً مَا.

– أمّا الطّلابُ اليَابَانِيُّونَ، فقدْ فَهِمُوا المَغْزَى مِنْ رَمْزِ الحَمامةِ كونُها رمزاً للسّلام حالُهُمْ حالَ نُظَرائِهِمْ مِنْ سريلانْكا وماليزيا، في حين اسْتطاعَ طالبٌ أُسْتُرالي واحدٌ أنْ يَربطَ الحَمامَ برَمْزِ السّلام، وعنْدَ سُؤالِهِ لهُ عَنِ السّبَبِ اكتشفَ أنّهُ يُحَضِّرُ لدِراسةِ الماجستير في شُؤُونِ الشّرْقِ الأوْسَطِ. في حين أنّ طالبةً أُسْتُراليةً أخْرى، وهيَ مُتزوّجةٌ وأمٌّ، رَأتْ في صُورة الحَمامةِ رمزاً للأمُومَةِ.

–أمّا بالنّسبةِ لصُورةِ الشّامة والخُلودِ فقدْ اسْتغْربَ الجميعُ تَوظيفَها في قَصيدَةٍ غَزَليةٍ على أساسِ أنّ الشّامةَ

ومحمد أحمد أبو الفرج: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ص ١١٦ وتمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص ١٦٣ و ابن خلدون: المقدمة، ص ٥٦٩–٥٧١.

١٣ عدي جوني: إشكالية الترجمة وثقافة النص مجلة أفق الثقافية، عدد فبراير ٢٠٠٠م، ص ٤.

١٤ محمود درويش:ديوانه،ص٢١٠–٢١٣.

١٥ عدي جوني: إشكالية الترجمة وثقافة النص مجلة أفق الثقافية، عدد فبراير ٢٠٠٠م، ص ٤.

جِسْمٌ غَريبٌ يَحْملُ في خَفَاياهُ احتِمالاتِ التَّحوُّلِ إلى سَرطانٍ، في حين أشارَ طالبٌ واحدٌ، يدرسُ الطّب، إلى أنّ الشّاعر ربّما استخدمَ الشّامةَ دلالةً على تأصُّلِ الحالةِ الوِجدانيةِ لدى الشّاعر بما أنّ الشّامةَ لا يُمكنُ إزالتُها إلّا بالاستِئْصالِ.

وبعدَ هذا أمكنَ الباحثَ المُسْتَقْرِئَ أنْ يَخْلُصَ إلى أنَّ استخدامَ مُفردةٍ واحدةٍ أعْطى النصَّ عدّةَ مفاهيمَ دلاليةٍ تبعًا لثقافة كل متلقٍّ وِفْقَ بِيئَتِهِ المِهنيةِ أو الدّراسيةِ أو حتّى الاجتماعيةِ ممّا يُؤَكّد أنّ النصّ يُستحضر في وجُودهِ مناخاً تفسيريّاً خاصّاً يَستتبعُ مُستوياتٍ مُتعدّدةً للّعبة الدّلالية، معَ التّذكيرِ بأنّ النصّ الإنجليزي لهذا المقطع يفتقر إلى جَمَالياتِ الأدواتِ الشعريّةِ وانْسِيَابِ القافيةِ والخصوصيّةِ الغِنائيَّة الّتي عادةً ما تتمتّع بها نصوصُ محمود درويش. والأطرَفُ من ذلك أنّ انْطِباعاتِ الطّلبةِ اخْتَلَفَتْ تماماً بعدَ سَماعِ الأُغْنِيَةِ إذ أشارَ الجميعُ إلى نَبْرَةِ الحُزْنِ في المَقْطَعِ الملحّن. وهذا يدلّ على تغيُّرِ المَعْنى الدّلالِي للنصّ لدَى جَمْعِهِ معَ وظيفةٍ تعبيريةٍ أخْرى تمتلِكُ أدَواتِها الفنّيةِ الخاصّةِ.[١٦]

وبناءً على ما تقدّمَ فإنَّ النصّ المُترجمَ عادة ما يصطدِمُ بإشكالية ثقافةِ النصّ المُنتَج عبْرَ علاقاتٍ لغويةٍ تتحكَّمُ فيها آليات دلالية تَختلفُ عنْ تلْكَ التي تعوَّدَها السّامعُ أو القارئُ، الذي قدْ يُفهمُ النصّ لكنّه ليْس مِنَ المحتَّمِ أن يتذوّق معناهُ الجَمَالِي. فلوعُدنا إلى نصَّ محمُود دَرْويش وقارَنّاهُ بطريقةٍ تحليليةٍ معمّقةٍ لَوَجَدْنَا أنَّ النصّ يتوَزَّعُ على مِسَاحاتٍ دَلاليةٍ مُرتبطةٍ بالواقعِ الفِلَسْطِيني الذي يرَى في الحَمامِ رمزاً للسّلام في صِراعِهِ اليَوْمِي لإثباتِ وُجُودِهِ على أرْضِهِ ورُبَّما يرَى البَعْضَ في ذلك الرَّمْزِ، على النّحو الذي وظّفَهُ محمُود دَرْويش، دعوةً للتّعايشِ لوْ افْتَرَضْنا أنّ المُخاطبَ هُنَا هيَ فتاةٌ يَهوديةٌ. أمَّا بالنّسبةِ للشّامةِ فهيَ بالنّسبةِ للقَارئِ العَربِي واحدةً مِنْ مَعاييرِ الجَمَالِ التي تُضْفِي على المَحْبُوبةِ حُسْناً آخرَ إلى جانبِ علاقَتِها العُضْوِيةِ المُباشَرةِ بالجَسَدِ، رمزاً للعلاقةِ الحَميمَةِ.[١٧]

٣- ترجمة النّص الشعري في الميزان:

لئِنْ ساد الاعتقادُ أيّامِ جُورج مُونان بأنّ التّرجمةَ في الأدبِ الرّوائي والمعاصر بشكلٍ عامٍ أقلُّ حِدَّةً منْها في الشّعر،[١٨] فإنّ ما أقرّه الكثير من المُنظِّرينَ والأدباءِ المُتَرجمينَ مِنْ أمرِ عدَمِ قابليةِ الشّعر للتّرجمةِ يبْقى اعتقاداً فيهِ كثيرٌ مِنَ الصحّةِ.[١٩] فالعَقَبةُ الكَأْداءُ الّتي تقفُ أمامَ ترجمة أيِّ قصيدةٍ من لغةٍ إلى أخرى تتمثّلُ في أنّ الصّور الشّعرية قد يكونُ لها رنينٌ وإيحاءٌ مختلفانِ مِنْ لغةٍ إلى أخْرى، فمَا يُعدُّ عميقاً ومبتكراً في لغةٍ مَا قدْ يبدُو سخيفاً وسَطْحياً في لغةٍ أخرى تبَعاً لطبيعةِ الأجْواءِ اللّسانيةِ والثّقافيةِ والحضاريةِ الّتي تلُفُّ كلتَا اللّغتين.وحينَ تفْقدُ القصيدةُ، من جرّاءِ التّرجمة، مُوسِيقاها ومَزايَاها العَرُوضيةِ والبَلاغيةِ فإنّها تفقِدُ الكثيرَ، وقدْ تتَحوّلُ إلى نَثْرٍ مُحايِدٍ غير قادرٍ على التّأثيرِ.[٢٠]

---

١٦ المرجع نفسه، ص ٤.

١٧ المرجع نفسه، ص ٥.

١٨ جورج مونان: علم اللغة والترجمة، ص ١٠٥. والجدير بالذكر هنا أن الفضل يرجع إلى جورج مونان في إعادة طرح الموضوع مجدداً في كتابه «Les belles infidèles»، ١٩٥٥ (الجميلات الخائنات)، وقد تطرق فيه إلى الحجج التي ساقها Du Bellay (١٥٤٩) والتي من أهمها تعذّر ترجمة أحد الأبعاد الأساسية للغة ألا وهو البعد الشعري.ينظر: Georges, M. *Les Belles Infidèles*, p.15.

١٩ خلُص جاكوبسون إلى أن الشعر لا يمكن ترجمة, وما يمكن عمله فقط هو نوع من الإبدال الخلاق. ينظر: Jacobson, R., *Essais de linguistique Générale*, p. 238.

٢٠ إنعام بيوض منور: الأساليب التقنية للترجمة، ص ٤٢.

وهو بُعْدٌ أدرَكهُ الجاحظُ في وقتٍ مبكّرٍ. فقد بَدا واضحاً في إنْكارِ قابليةِ الشّعر للتّرجمة، وله في ذلك حُجَج مَثْبُوثةٍ في كتابِ الحَيوان، منها قوله: «وفضيلةُ الشّعر مقصورة على العربِ، ومَنْ تكلَّمَ بلسانِ العَرَب، والشِّعرُ لا يُسْتَطَاعُ أنْ يُتَرْجَم، ولا يجوزُ عليه النَّقلُ، ومتى، حوِّلَ تقطَّعَ نَظْمُهُ وبطلَ وزنُه، وذَهَبَ حُسْنُهُ وسَقَطَ مَوْضِعُ التعجُّبِ، لأ كالكَلاَمِ المَنْثُور.»[٢١]

وإذا كان الجاحظ قد أقرَّ بأنَّ «الكَلاَمُ المَنْثُورُ المُبْتَدَأُ على ذلك أحسَنُ وأوْقَعُ من المَنْثُور الذي تحوَّلَ من موزُون الشِّعْر».[٢٢] فإلى أيِّ مَدى يصلُح النصُّ النَّثْري للتّرجمةِ ؟

إنّنا لا نجانبُ الصّوابَ إذا رأينا في الإجابة على هذا السّؤالِ ما رَآهُ جُورج مُونان من أنّه «بَدَلاً مِنَ القَوْلِ بأنَّ كلَّ شيءٍ يُمكنُ تَرجَمَتُهُ أوْ أنّ كلَّ شيءٍ يتعذّرُ ترجَمتهُ، فإنّهُ يَتعيّنُ علينا أنْ نبدأَ بحَصْرِ مَنْهَجي لكُلِّ الوَقائعِ غيْرِ القابلَةِ للتّرجمة ووَصْفها في مُدوّنةٍ مُعَيّنةٍ.[٢٣]

وهذا التّصنيف المَنْهَجي يُشكّل في الوقت نفسِه تصْنيفاً لصعوبات التّرجمة، والإلْمَام بهذه الصُّعوباتِ يُشكّل إحْدى الخُطُوات الأُولى لحلِّها والمتمثّلة في البحث عن المنهج الأفضَلِ أو الأُسْلوبِ الأمثَلِ في التّرجمة. والهَدفُ الأوّلُ من وضعِ المناهجِ والأساليبِ هو تقنينُ عمليةِ التّرجمةِ بُغيةَ تضْييقِ هوامشِ الخطأِ فيها والارتقاءِ بهذا الفَرْع مِنْ فروعِ المعرفةِ إلى مستوى الصّرامةِ العمليةِ. ومَا الحَالاتِ الّتي أمْكَنْنا إحْصاؤُها عَنْ تعذُّرِ التّرجمةِ، وهيَ حالاتٌ خاصةٌ جدّاً، لا تُشكّل من النّاحية العملية عَقَباتٍ يَصْعبُ تَجاوزُها أو اتّخاذُها حُجَّةً دامِغةً لاستِحالَةِ التّرجمةِ.[٢٤]

ومهْما كانتِ الأسبابُ وراء تعذُر التّرجمة على أيّامِ الجاحِظ[٢٥] أوْ بعدَه بقرون،[٢٦] فإنَّ مُهمّة المُتَرجم الأدبي تتَمثّل فقط في نَقْلِ قصيدةٍ أوْ روايةٍ من لغة إلى أخرى ولا تتَمثَّل في التَّعْويضِ عنْها أوْ الإتْيانُ بأفضل منها. وعلى المُتَرجِمِ أنْ يَعِي أنّه على الرّغْمِ من أنّهُ من المُسْتحيلِ أنْ تَنْقلَ من لغةٍ إلى أخْرى تلكَ الدّقائِقَ الخَفيَّةَ للعِبارَةِ والصَّوْتِ والنَّغْمَةِ الّتي تجعَلُ من أيِّ قصيدةٍ وجوداً واقعياً مُنفرداً، فالشّعر يُمكنُ ترجمَتُه إذا كانَ المُترجم من الشّاعرية ورَهافة الحِسِّ بحيثُ يستطيعُ أنْ يَلِجَ عوالمَ الشّاعرِ الحَميمَةِ، وأنْ يكونَ مُتَمكِّناً من اللّغتين، مُتقناً لهُما، وأنْ يستوعبَ مُعْجمَ الشّاعرِ الخاصِّ ويُلِمَّ بإيحَاءاتهِ وينقُلُها بأمانةٍ لا تفُوقُ عَبْقريَّةَ الشّاعر ولَا تَخْذُلُها، الأمر الذي يُعزّزُ من دَورِ التّرجمةِ في تَقْريبِ الهُوّة بينَ الثّقافاتِ الإنسانيةِ والّتي أسْهَمَ فيها رَعيلٌ من المُترجِمينَ الأَفْذاذِ أمثال: خالِد بنِ يَزيد بنِ مُعاويةَ (ت٨٥هـ) ويُوحنّا بنِ البَطْريق، وابنِ النّاعِمَة الحِمْصي، وثابِت بنِ قُرَّةَ

---

٢١ الجاحظ: الحيوان، ١/٧٤-٧٥. ومنها قوله كذلك: «وقد نُقلَتْ كتُبُ الهنْد، وتُرْجِمَت حِكَمُ اليونانيَّة، وحُوِّلَت آدابُ الفُرْس؛ فبعْضُها ازدادَ حُسْناً، وبعْضُها ما انْتَقَصَ شيئاً، ولوْ حُوِّلَت حكمةُ العرب، لبَطُلَ ذلك المعْجزُ الذي هو الوَزْنُ؛ مع أنّهُم لوْ حَوَّلُوهُ لم يَجِدُوا في معانيها شيئاً لم تذكُره العَجَمُ في كُتُبهم، التي وُضِعَت لمَعَاشِهم وفِطَنِهم وحِكَمِهِم». ينظر: المصدر السابق، ١/٧٥.

٢٢ الجاحظ: الحيوان، ١/٧٥.

٢٣ جورج مونان: علم اللغة والترجمة، ص ٣٣.

٢٤ إنعام بيوض: الأساليب التقنية للترجمة، ص ٤٨.

٢٥ يرى بعض الدارسين المحدثين إلى أنّه كان لحركة الترجمة أثرُها في ازدهار الحضارة العبّاسية، إلّا أنّ التراجم إجمالًا لم تخل من بعض الشّوائب. فالإبهام في النصوص كان شائعاً والتفسير السيء مألوفاً. وقد يكون مردُّ هذا إلى التعابير التقنية في لغة الضّاد، أو إلى النَّقل عن غير الأصل، أو إلى جهل بعضهم اللغة المترجم منها وإليها، أو كليهما معاً، علماً بأنّ الترجمة في تلك الأيام كانت تتمّ غالباً من السريانية، والترجمة السريانية بدورها عن اليونانية. ينظر: جميل جبرا: لجاحظ في حياته وأدبه وفكره، ص٩٦-٩٧.

٢٦ ينظر في هذا الصدد: Catford, J.C.: *Alinguistic Theory of Translation*, London, 1965, p. 94,99 وجوزيف ميشيل شريم: منهجية الترجمة التطبيقية، ١٩٨٢م، ص ١٠٧، ١٢٨.

(ت٢٨٨هـ)، وحُنَيْن بنِ إسْحاق (ت٢٦٠هـ)، وحبِيب أو يَشُوع بنِ فِهْريز، ونُفَيْل بنِ تُومَا (تِيُوفِيل)، وابنِ وُهَيْلي، وابنِ صَيْدَلِي، وابنِ المُقفّع، وغيرِهم[٢٧] على أيّامِنا كثيرٌ، نذكرُ منهم: مِيخائيل نُعَيْمة[٢٨] وعادِل زعِيتر «شيخَ المُتَرجمين العَرب» في عصرنا الحديث.[٢٩]

خاتمة:

لئِنْ لمْ تكُن التّرجمة منذُ أنْ اتُّخذت جسْراً للتّواصل بينَ الثّقافات المُختلفة، مشروعاً تقومُ عليه المؤسّسات دونَ الأفرادِ، ولَنَا في «بيْتِ الحِكْمة» قديماً و«المَجْلِسِ الأعْلى للثّقافة» في مَشرُوعِهِ القَوْمي للتّرجمة بِمِصْرَ حديثاً، فإنّ أمرَها يجبُ أن يُسندَ في الحالتَيْنِ إلى مَنْ يَمْتَلِكُ ناصِيَةَ العِلْمِ ويَسْلُكُ في أدائِها مَسْلَكَ أصْحابِ الرِّسَالاتِ.[٣٠]

المصادر والمراجع:

-العربية:

-أبو الفرج، محمد أحمد: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (ط١)، ١٩٦٦

-أنيس إبراهيم ومنتصر عبد الحليم والصوالحي عطية وأحمد محمد خلف الله: المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت.

-ابن خلدون، عبد الرحمن محمد، تحقيق درويش الجويدي: المقدمة، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، (ط٢)، ١٩٩٦.

-ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٦.

-ابن النديم، محمد ابن إسحاق، تحقيق مصطفى الشويمي: الفهرست، الدار التونسية للنشر، تونس والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥.

-بيوض، إنعام: الأساليب التقنية للترجمة: دراسة نقدية مقارنة لأساليب الترجمة من منظور الأسلوبية المقارنة لـ «فيني وداربلني، وتطبيقاتها على الترجمة الأدبية في ترجمات كتاب «النبي» لجبران خليل جبران»، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد الترجمة في جامعة الجزائر، ١٩٩٢.

-تراسك، ر.ل، ترجمة رانيا إبراهيم يوسف: أساسيات اللغة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (ط١)، ٢٠٠٢.

-تمام،حسان: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٩.

---

٢٧ نظر: ينظر على سبيل المثال: الجاحظ: الحيوان،٧٦/١ وابن النديم: الفهرست، ص ٥٢٣ ومصطفى الشكعة: معالم الحضارة الإسلامية، ص١٤٠ -١٤٥.

٢٨ ويعدّ من الروّاد الذين نبّهوا في أوائل العشرينات إلى ضرورة الترجمة وخطورتها، وأحد الممارسين لها منها ترجمته لرواية «النبي» لصاحبها جبران خليل جبران (١٨٨٢-١٩٣١م) وقد صدرت عن مؤسسة نوفل، بيروت، سنة ١٩٣٦م. ينظر:حسني زينة: أثر الترجمة في تكوُّن البلاغة العصرية، ص ٢١٢.

٢٩ ينظر: وديع فلسطين: عادل زعيتر مترجم ذو رسالة، ص ٣.

٣٠ ذهب محمد شرف سنة ١٩٢٩م في أمر الترجمة والمترجمين يقول: «وقد سار معربو هذا الزّمان ومترجموه في نقل اللغات الفرنجية على طرق مختلفة، فابتدع هذا أسلوباً جرى عليه خالفه فيه غيره، واستنَّ آخرُ سُنَّةً لم يُسايره عليها أحدٌ، وصار كلُّ معرِّب يضعُ لنفسه منهاجاً لتصوير الألفاظ والمعاني أو لتعريبها،وانطلقت الأقلامُ والألسنَةُ بالأعِنَّة، ووضعت أوضاعٌ وصيغت ألفاظٌ بطرُق مختلفة لا تؤدّي المقصود منها،وشطَّ المعرِّبون عن الصّواب شَطَطاً بعيداً. وجاء فيما ظهر من الكتب العلمية المعرَّبَة التي تدرّسُ في مدارس الحكومة أو ما نُشر في الصّحف اليومية والمجلاَّت خَلْطٌ كبيرٌ». المرجع نفسه، ص ٢١٢.

-الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق عبد السلام محمد بن هارون: الحيوان، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط٣)، ١٩٦٩.
-جبرا، جميل: الجاحظ في حياته وأدبه وفكره، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ودار الكتاب المصري، القاهرة.
-جوزيف، ميشيل شريم: منهجية الترجمة التطبيقية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٢.
-الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار: الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، (ط٣)، ١٩٨٤.
-جوني، عدي: «إشكالية الترجمة وثقافة النص»، مجلة أفق الثقافية الإلكترونية، عدد فبراير، ص. ١-٥، ٢٠٠٠، (تمَّ الإطلاع عليها بتاريخ جوان ٢٠٠٦ على الموقع www.ofouq.com)
-حكيم ، مظفر الدين أسعد: علم الترجمة النظري، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٩
-خوري، شحادة: الترجمة قديماً وحديثاً، دار المعارف، سوسة، ١٩٨٨.
-الديداوي، محمد: الترجمة والتواصل: دراسة تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح ودور المترجم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٠.
-درويش، محمود: ديوان محمود درويش، دار العودة للصحافة والطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧.
-ذريل، عدنان: اللغة والدلالة: آراء ونظريات، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨١.
-زينة، حسني: «أثر الترجمة في تكوُّن البلاغة العصرية»، مجلة الفكر العربي، العدد ٤٦، ص. ٢١١-٢٢١، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٧.
-سالم، العيس: الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٩.
-سلوم، تامر: نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار، اللاذقية، (ط١)، ١٩٨٣.
-الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت.
-كامهي، آلان وكات، هوغ، ترجمة حمدان علي نصر وشفيق فلاح علاونة: صعوبات القراءة: منظور لغوي تطوري، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، ١٩٩٨.
-كليطو، عبد الفتاح: الأدب والغرابة: دراسات بنيوية في الأدب العرب، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٢.
-مصطفى، الشكعة: معالم الحضارة الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.
مونان، جورج، ترجمة أحمد زكريا إبراهيم ومراجعة أحمد فؤاد عفيفي: علم اللغة والترجمة، مجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢.
-وديع، فلسطين: «عادل زعيتر مترجم ذو رسالة»، مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد ٧٦، الجزء ١، ص. ٣-٢٠، دمشق، ٢٠٠١.
-يوسف، أحمد: بين الخطاب والنص، مجلة تجليات الحداثة، العدد ١، ص٥١-٥٨، جامعة وهران: معهد اللغة العربية وآدابها، ١٩٩٢.

-الأجنبية

Barthes, R. 1973. *Théorie du texte, in: encyclopedia universalis*. Paris: Seuil, p. 1–11.
Catford, J. C. 1965. *A linguistic Theory of Translation*. London, Oxford: Oxford University Press.

Jacobson, R. 1974. *Essais de linguistique Générale*. Paris: TL. les éditions de Minuit.
Mounin, G. 1955. *Les Belles Infidèles*. Paris :cahiers du sud.
Wills, W. 1982. *The Science of Translation Problems and Methods*. Tubingen: Gunter Narr Verlag.